قراءة جديدة لثورة العشرين العراقية
دراسة في الأسباب والنتائج

م.د. طالب بحر فياض البدراني
كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون

المقدمة

يتناول هذا البحث المسببات التي أدت إلى قيام ثورة العشرين العراقية الكبرى. ويعود اختياري إلى هذا الموضوع لأسباب عدة يقف في مقدمتها ان الثورة ما زالت تلهم ابناء العراق دروساً وعبر في الوطنية ومقارعة المستعمر وعدم الرضوخ الى ارادته، باستلاب البلد استقلاليته وارادته.

ويتكون البحث من ثلاث مباحث، اهتمت بدراسة الأوضاع عشية الثورة، والأسباب غير المباشرة التي تسببت في قيامها، فضلاً عن الأسباب المباشرة التي كانت النقطة الجوهرية في التصدي للسيطرة البريطانية البغيضة على العراق.

ان ثورة العشرين العراقية ظلت نبراساً وهاجاً للحركات والانتفاضات التي شهدتها الأقطار العربية الأخرى، كما كان لها الدور الأساس في الأحداث التي جرت عام (١٩٤١م) المعروفة باسم (انتفاضة مايس) وفي قيام ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨م) في العراق التي اطاحت بالنظام الحكمي الملكي.

اهمية البحث.

ان ثورة العشرين انطلقت بطريقة عفوية من دون تنظيم سياسي أو توجيه مركزي من جهة أو فصيل بعينه فقد كانت صرخة مدوية زعزعت كيان اعتى وأضخم استعمار عرفه القرن الماضي واول صدام بين جماهير تكاد لا تملك السلاح وبين جيش من اقوى الجيوش آنذاك. لقد كانت ثورة العشرين هي ثورة الفلاحين والبسطاء على الظلم، بالرغم من التعتيم على الثورة وقادتها الا انها اعتبرت منعطفاً هاماً في الحياة السياسية العراقية آنذاك وبجوهرها اجبرت الامبراطورية البريطانية على اعادة التفكير بسياستها ليس تجاه العراق فحسب وانما تجاه المنطقة والمستعمرات البريطانية ولهذه الاسباب لابد من ان تكتب وتبحث في جوهر ودوافع (الثورة العراقية الكبرى) التي هي وحدها غيرت مسار التاريخ السياسي للعراق فراحت بريطانيا تعيد حساباتها بعد ادراكها أن الشعب العراقي بكل طوائفه تواق الى الحرية والاستقلال. ان نتائج ثورة العشرين اثرت بشكل ملحوظ على عقود من التاريخ السياسي للعراق والفهم لطبيعة ومزاج العراقي الذي سرعان ما ينتفض اذا وقع عليه ضيم أو استلب منه حريته واستقلاله... ان الحضارة

دورة تكتمل فيعاد تشكيل عناصرها من جديد واول هذه العناصر تكرر في هذا الجانب أو ذاك واليوم ارى ان ثورة البسطاء والفلاحين تعطي مثلا للتلاحم امام المحن فالثورة عندما اندلعت في الفرات الاوسط ساندها بتلقائية العراقي في الشمال والغرب وضرب مثلا في الوطنية.

مشكلة البحث والحاجة اليه.

مضى على الثورة ما يقرب من تسعة عقود ولا يزال موضوعها بكراً اي ان الباحثين سردوا احداث الثورة لكنهم لم يبحثوا في عناصرها وجذورها التأريخية والوطنية والقومية ولم يتعمقوا في فهم اسرارها ومقوماتها بامعان ما سيؤدي بنا الى فهم حقيقي لتركيبة هذا الشعب الذي يؤكده الحديث النبوي الشريف (اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى)... ان انعكاس ثورة العشرين ودروسها على الواقع الراهن وما سبقه مفيد وعميق لانه كان احد الاسباب لصياغة عقد اجتماعي متكامل لمجتمع عراقي متجانس يواجه التحديات نفسها أو الاستجابة لذلك التحدي نفسه. الحاجة اليوم الى دراسة جذور وتأثيرات الثورة مهمة ومطلوبة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الامة. لان ما يواجه العراق اليوم من تحد ربما هو نفسه الذي كان سائداً قبل عام ١٩٢٠ واليوم اذ نخوض في موضوعة ثورة العشرين وجوهرها فهو دعوة لفهم عواملها ووحدتها ومسبباتها عندما انطلقت الرميثة لتضرب في الانبار والموصل وسائر مدن العراق... ان الخوض في (الثورة العراقية الكبرى) هو فتح الباب امام العراقيين للعودة الى دروس الثورة ومفاهيمها واهدافها.

اهداف البحث وحدوده.

عندما خضت في موضوعات الثورة: الاسباب والنتائج والتأثيرات، توخيت ان يكون بحثي المتواضع لإظهار الآتي:

١. ان الاستعمار مهما طال أمده وتعددت ادواته الاجرامية فإنه زائل لا محال وتجارب الشعوب عبر التاريخ اذ ان الوطن المغتصب يعود الى احضان مواطنيه وترتفع فيه رايته.

٢. ان اعتى قوة في العالم لا تستطيع استلاب حرية الاوطان واستقلالها ولابد من ان يأتي اليوم الذي يهرب فيه الغاصب أو الغازي ويعي الدرس.
٣. ان لحمة الشعب اذا ما بنيت على اساس المواطنة والوطن فانها هي التي تنتصر.
٤. ان دماء الشهداء غالية فهي تبقى نبراساً للاجيال تلهمها المفاهيم والتقاليد ودروس الحفاظ على الاوطان.
٥. ظهرت بعض الكتب والبحوث عن الثورة التي لا ترتقي الى مضمونها واهدافها وتضحياتها الامر الذي يتطلب من الباحثين اظهار عمق الثورة وقوتها وهذا احد اهداف بحثي.
٦. ان الزعم بان ثورة العشرين كانت (ثورة فراتية بحتة) يسيء اليها اكثر مما ينفعها وان الادعاء انها قامت على اكتاف قبيلة واحدة يعد ضرباً لها وهذا هو احد اهداف البحث لإظهار حقائق مهمة بان الثورة كانت ثورة كل العراقيين.

اما حدود بحثنا فهي من الاوضاع قبل الثورة اي منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى الى ما بعد الثورة.

أن هدف الكتابة عن ثورة العشرين العراقية تكمن في أن هذه الثورة لم تعطى ما تستحق من الأهمية التاريخية، كما هو شأن الثورات التاريخية التي شهدتها العالم، لذلك تغدو عملية تسليط الضوء عليها مسؤولية علمية وعملية في آن واحد، وهو ما توخيته في دراستي لها.

المبحث الأول
الأوضاع عشية الثورة

أولاً - الأوضاع الاقتصادية.

كان التأثير الاقتصادي للاحتلال الانكليزي يختلف في جنوب العراق عن وسطه وشماله، ويعود ذلك إلى طول المدة التي قضاها الانكليز في الجنوب من جهة، وإلى قوة نفوذهم هناك وما يتبع ذلك من استقرار من جهة أخرى[١].

فقد أدت العمليات العسكرية، أثناء الحرب العالمية الأولى، إلى زيادة تأزم الوضع الاقتصادي في العراق[٢].

وأدى انتقال الحكم من أيدي العثمانيين إلى الانكليز، إلى حدوث تبدلات جوهرية في حياة الناس، وفي القيم الاجتماعية والسياسية للأفراد.

ان ما يتعرض له التجار في دول العالم اثناء الحروب كان لها تأثيرها في العراق، فقد اجتاحت بغداد ازمة اقتصادية خانقة وغلاء فاحش في الاسعار وقد فعلت فعلتها بعد دخول بريطانيا العراق. فقد اختفت من الاسواق اغلب المواد الغذائية وارتفعت اسعارها بشكل فاحش.

أما في المناطق التي تحتلها القوات البريطانية فقد فرضت أعمال السخرة المرهقة على المواطنين، وسيق عشرات الألوف من الشغيلة العراقيين لإقامة المنشات للمحتلين الانكليز، وأخرج الفلاحون من حقولهم والحرفيون من ورشاتهم بالقوة للعمل في ظروف قاسية جداً حيث استخدموا في إنشاء خط سكك الحديد بصرة- بغداد، وكانوا يعيشون في العراء وفي طوابير كبيرة واستخدمت القوة ضد من يرفض الخدمة في أعمال السخرة ومما زاد الوضع تعقيداً، كثرة الضرائب وإجراءات الاستيلاء والمصادرة والغرامات التي فرضتها الجيوش المتحاربة على المواطنين(٣).

فأدى التعسف ضد الفلاحين، وثقل الضرائب الحكومية إلى إرباك الحالة الاقتصادية بحيث لم تكن هناك أي أمكانية لتكوين اقتصاد مستقل لهم(٤).

كذلك ان شرايين التجارة الخارجية والشحن البحري كان مسيطراً عليها من قبل الانكليز منذ الاحتلال، وكان لهذا التسلط الانكليزي أثره في قتل المنافسة الأوربية الحرة، وتحطيم الشركات التجارية الوطنية مما دفع بالبرجوازية العراقية الناشئة إلى مقدمة قيادة الثورة سياسياً ومؤازرة الثوار في الريف(٥).

ثانياً- الأوضاع الاجتماعية.

رغم ان العراق لم يكن في حالة حرب مع بريطانيا قبل وبعد احتلاله المدن الا أن المحتل فرض قيوداً قسرية وصارمة وكبل البلاد بقوانين قيدت حرية الناس واقتصادهم وحركتهم ومنعت عنهم الكثير من المتطلبات، فكانت تمنع التجارة بين المدن واقامة الصلاة الجماعية والتجمعات الاسرية والسفر وحتى نقل الجنائز الى العتبات المقدسة أو اقامة التقاليد والافراح.

فقد استولى الجيش البريطاني على الكثير من البيوت والخانات والأماكن الأخرى في المدن والتي اتخذت مساكن ومواقع للجيش أبان دخوله العراق وبعد انتهاء الحرب ضلت هذه الأملاك تحت سيطرة الجيش الأمر الذي أدى إلى استياء الملاكين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو من اليهود(٦).

وامتنع الجيش البريطاني من دفع اثمان تلك المساكن والخانات واستمر في اختزال الاراضي الزراعية والاراضي في المدن لاقامة المعسكرات والحاميات كما انه كان يقطع الطرق والجسور لصالح تحركات قواته كما انه منع اقامة مشاريع الاسكان وبناء المدن والقصبات وحارب طبقات المالكين لافقارهم ومحاربتهم والتأثير على معنوياتهم، وأن سياسية إسداء العون لشيوخ العشائر والمزارعين على حساب الملاكين خلق شعور الأسى في نفوسهم(٧).

وكان البريطانيون يفرضون العمل الإلزامي على الفلاحين الأمر الذي يؤدي إلى استيائهم فكانوا كثيراً ما يفعلون عن ذويهم ويبعدون عن بيوتهم، وكان العمال يسحبون بأعداد متزايدة من حقولهم وقراهم ومن بين أسرهم ليستخدموا في الأشغال العسكرية حتى أصبح مثل هذا العمل الإجباري من أهم الظلامات التي يشكو منها السكان ضد السلطات البريطانية(٨).

ثالثاً-الأوضاع السياسية.

لقد كانت فترة الاحتلال البريطاني أو فترة الحرب العالمية الأولى من أقسى الفترات التي مرت على العراق في تأريخه المعاصر إذ قاسى العراقيون من الطرفين المتحاربين الأتراك والانكليز الشيء الكثير(٩).

وكانت التصريحات والبيانات التي أصدرها الحلفاء وبريطانيا العظمى خلال الحرب مثل بيان الجنرال مود، وخطاب لويد جورج، والتصريح الانكليزي- الفرنسي، كلها أقنعت الموجودين في الداخل والخارج معاً برغم جهود الإدارة الملكية المعاكسة بأن أمانيهم القومية كانت موشكة على ان تتحقق على يد بريطانيا العظمى(١٠).

وفي العراق كانت البيانات والتصريحات أهم ما صدر عن المسؤولين الانكليز ويظهر ان بعض هذه التصريحات وان نسبت للعسكريين، فأنها كانت من صنع الساسة

وصادرة عن علمهم، وبالرغم من صراحة بعض العهود التي منحها الانكليز للعراقيين وبالرغم من ان بعضها صدر في أيام السلم أي بعد الهدنة كما هي الحال في التصريح الانكليزي- الفرنسي، فأن الانكليز كما يظهر لم يكونوا جادين في منح العراق الاستقلال(١١).

وان هذا التصريح الانكليزي- الفرنسي، الذي صدر في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨م، كان بمثابة تأييد لما كانت تتمناه شعوب هذه المنطقة، فقد اتفقت فرنسا وبريطانيا على ان تساعد الأهالي على تأليف حكومات وطنية في الشام والعراق وفي جميع البلاد التي حررها الحلفاء وان تعترف بها حين تأليفها والاّ تتدخلا في شؤنهما، إلا أنه سرعان ما تكشف زيف الوعود التي قطعها المستعمرون.

ان البلاغ الذي أذيع في ٣ مايس ١٩١٧ بأن بريطانية العظمى قد عُهد إليها بالانتداب على العراق قد زاد في الطين بله وساعدت على حماس الوطنيين الذين عرفوا ان بريطانيا العظمى لا تنوي ان تبر بوعودها(١٢).

فقاومت الجماهير الشعبية في العراق السياسة البريطانية منذ الأيام الأولى للعدوان البريطاني على العراق، فامتنعت عن دفع الضرائب، ورفضت بإصرار القيام بأعمال السخرة المفروضة عليها ولم تعترف بسلطة المحتلين في البلاد، ومن أهم ما حدث في هذا المجال، الانتفاضة التي اشتعلت في، النجف، والكوفة وابي صخير في تشيرين الاول والثاني عام (١٩١٧)، وانتفاضة النجف عام (١٩١٨)(١٣).

المبحث الثاني
الاسباب الخارجية الغير مباشرة

الاسباب الخارجية غير المباشرة:

لقد تضافرت عوامل عربية وأجنبية في انبعاث الروح الوطنية والقومية لدى الشعب العراقي نتيجة لتأثره بالمبادئ الوطنية الثورية التي كانت تهدف إلى الاستقلال ورفض الاستعمار بكل أشكاله حيث ساهم هذا الشعور بصورة غير مباشرة في قيام ثورة العشرين وتأتي هذه العوامل حسب الأهمية كما يلي:

أولاً- إصرار بريطانيا على حكم العراق حكماً مباشراً:

اتضح من أقوال المسؤولين البريطانيين ان بريطانيا لا تنوي التخلي عن حكم العراق مباشرة أو فرض الانتداب عليه على الأقل(١٤).

وان لفظة الانتداب لفظه بغيظه غير مألوفة في نظر الجمهور كما أكدت ذلك المس بيل التي كانت أحد أبرز أعضاء دار الاعتماد البريطاني في العراق، وكراهية الانتداب جاءت نتيجة ظروف طبيعية لما ولدته الأداة العسكرية الانكليزية نفسها في نفوس المواطنين من كراهية لهذه الإدارة ورغبة عارمة في التخلص منها(١٥).

وكان ولسن وزير الخارجية البريطاني يرى ويحبذ ان تقوم الدولة المنتدبة بتعيين شكل الحكومة المقبلة دون الرجوع إلى الرأي العام العراقي أو الاكتفاء بطبقة المتنفذين الذين ارتبطت مصالحهم بالسلطة المحتلة، وأن الحكومة البريطانية تأخرت في وضع أسس وشروط الانتداب على العراق وهذا ما أربك الإدارة المدنية في العراق لأنها لم تكن تعرف ماذا تعمل بعد إعلانها الانتداب والموقف الداخلي المترتب على هذا الإعلان فقد أثار هذا الإعلان هياج الرأي العام الداخلي وذلك بأعتباره دليلاً جديداً على أن بريطانيا لا تنوي ان تفي بوعودها الأولى مما اعتبروه استعماراً جديداً وتوسعاً استعمارياً باسم جديد وان العراقيين يأبون ان تقيد حريتهم يد أجنبية تحت أي اسم كان(١٦).

ويرد المستر لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني بقوله: «أمن المعقول أننا بعد كل هذه الجهود التي قمنا بها نغادر العراق تاركين كل شيء خوفاً وسأماً من ثقل حملها». ومن هذا يظهر ان السياسة البريطانية في العراق كانت تستهدف البقاء في البلاد وان ثورة العشرين كانت من العوامل الرئيسية في تغيير هذه السياسة أو إكسابها مرونة أكثر من ذوي قبل على الأقل(١٧).

ثانياً- تأثير الثورة العربية في الحجاز لسنة ١٩١٦م:

أعلن الحسين بن علي شريف مكة الثورة على الدولة العثمانية في اليوم التاسع من شهر شعبان عام (١٣٣٤هـ) الموافق للعاشر من شهر حزيران سنة (١٩١٦م)، التي عملت بريطانيا على دعمها بكافة الوسائل(١٨).

وأطلق الشريف بنفسه في هذا اليوم الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك في مكة إيذاناً بإعلان الثورة، وعزز الشريف حركته المنشورة إذاعته على الشعب العربي أتهم فيه الاتحاديون الخروج على الشريعة الإسلامية وقد استطاعت القوات العربية الثائرة ان تستولي بأقل من ثلاث شهور على جميع مدن الحجاز الكبرى باستثناء المدينة المنورة التي بقيت تحاصرها حتى أواخر الحرب، ولم يلبث ان بويع الشريف حسين في كانون الثاني (١٩١٧م) ملكاً على العرب[١٩].

وكان لثورة الشريف الحسين صداها في العراق، بالرغم من ان السلطات البريطانية في الهند قد عمدت إلى أخفاء أخبارها في العراق، وكان هدفها من ذلك إخماد روح الاستقلال بين السكان العرب المحليين. ويظهر ان الكثيرين من المشتغلين بالحركة الوطنية في العراق كانوا يعدون شرفاء مكة أبطالاً قوميين يصلحون لقيادة البلاد العربية نحو الاستقلال وقد وصلت ثقة معظم العراقيين خاصة في بغداد والفرات الأوسط بهؤلاء الشرفاء لدرجة أصبح معها ترشيح الشريف حسين لعرش الحجاز مقبولاً.

وان انخراط عدد من الضباط العراقيين الهاربين من الجيش العثماني أو من الذين وقعوا أسرى بين الانكليز في ثورة الحسين كَّون منهم حلقة اتصال بين العاملين في ثورة الحسين وبين بعض المعنيين في الحركة الوطنية في العراق[٢٠].

ان المراسلات كانت على اتصال مستمر بين الشريف حسين من جهة وزعماء الحركة الوطنية في العراق من جهة أخرى، وكانت المناشير التي تصدرها الحكومة الشريفية تصل إلى العراق بصورة مستديمة، مما عمل على نشر الوعي الوطني والإحساس القوي بالاستقلال وضرورة الانفصال عن الدولة العثمانية ومن ثم الوقوف بوجه أي نفوذ أجنبي، فكان ذلك كله سببا لاختمار فكرة الثورة العراقية والتحضير لها[٢١].

ثالثاً- تأثير الثورة المصرية لسنة ١٩١٩م:

قامت هذه الثورة نتيجة لاستمرار الاحتلال البريطاني لمصر ولغرض الحماية عليها ولإشغال البريطانيين مناصب إدارية كبيرة في البلاد ويظهر ان هذا التذمر لم يقتصر على معظم سكان المدن المصرية بل امتد إلى الفلاحين الذين تضرروا كثيراً، وما لبث هذا التذمر ان تحول إلى ثورة نتيجة لرغبتهم في الحصول على الاستقلال[٢٢].

ان أنباء هذه الثورة التي قام بها الشعب المصري في وجه الاحتلال الانكليزي والأعمال الوطنية التي قام بها لمواجهة هذا الاحتلال، ألهبت الحماسة في نفوس العراقيين المثقفين وجعلتهم يفكرون في ضرورة الاستفادة من هذه الأحداث. وان للثورة المصرية أثراً مهماً في تحفيز العراقيين وثورتهم للمطالبة باستقلال العراق.

ان هذه الثورة كانت من بواعث اليقظة الفكرية، ونشر الوعي الوطني لدى العراقيين، فقد كانت الصحف المصرية التي تصل إلى العراق ذلك الوقت تطفح بأخبار الثورة المصرية، كقطع سكك الحديد وإطلاق النار على الجنود البريطانيين وهجوم المصريين على معسكرات الانكليز وأصبح شأن سعد زغلول الذي يترأس الثورة المصرية كما أصبح شأن الثورة نفسها، حديث الخاص والعام في العراق[٢٣].

ونلاحظ هناك تشابه قائم بين ثورة ١٩١٩م وثورة العشرين فرغم انعدام الارتباط التنظيمي بين الثورتين، فأنهما ارتبطتا من حيث السبب والنتيجة وحتى الأسلوب ارتباطاً عضوياً وضح بصورة عميقة أبعاد الحركة داخل المجتمع العربي ووحده الجدل فيه[٢٤].

فكان لها الأثر الكبير في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين وان إطلاع العراقيين على انتصارات المصريين قوي من عزائمهم فأخذوا يستخفون بالانكليز وبمقدرتهم الحربية وانتعشت الروح الوطنية انتعاشاً هائلاً[٢٥].

رابعاً- تأثير الحكومة الفيصلية في سوريا:

تأسست الإدارة الفيصلية في سوريا عام ١٩١٨ قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى بعد اندحار الأتراك أمام جيوش الحلفاء وقد أسهم جماعة من العراقيين في إدارة حكومة فيصل هذه ويظهر ان العراقيين الموظفين في حكومة سوريا استفادوا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على إدارة الحركات الوطنية الرامية لإنقاذ أجزاء من وطنهم من أيدي السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك وان جمعية العهد في الشام كانت على صلة ببعض العاملين في الحركة الوطنية في العراق خاصة في الموصل وبغداد[٢٦].

وكان لهذه الحكومة أثر كبير في فتح الاتصالات والمخابرات بين سوريا والعراق حيث بدأت تصل العراق الصحف السورية ولاسيما جريدة (العقاب) لسان حال حزب العهد فيقرأها الجمهور سراً، ويطلع من خلالها على المواقف السياسية فيما يتعلق بالعرب.

وكان لهذا التبادل الصحفي دور كبير في إنعاش الشعور القومي وإنهاض الروح الوطنية[٢٧].

وكان لإرسال لجنة (كنك- كرين) إلى الشرق الأوسط للتحقيق في رغبة الأهالي عن الحكم الذي يختارونه لبلادهم، بداية العمل الإيجابي للعراقيين، حيث أنه نتيجة لوصول هذه اللجنة، أنعقد المؤتمر السوري وأعلن استقلال سوريا.

أما العراقيين الموجودين في سوريا فقد قرروا عقد مؤتمر عراقي في دمشق وأعلنوا فيه استقلال العراق من شمال الموصل حتى الخليج وأعلنوا أيضاً تأييد سوريا التام وإعلان اتحاد العراق معها اتحاداً سياسياً واقتصادياً[٢٨].

خامساً- تأثير الحركة الكمالية في تركيا (١٩١٩- ١٩٢١):

كان للأتراك بحكم الجامعة الإسلامية، وصلاتهم القديمة في العراق وبحكم العامل الجغرافي أيضاً نفوذ معنوي كبير في العراق، خاصة في المنطقة الشمالية منه وفي الموصل ومن هذا يظهر ان معونة الأتراك كانت مقتصرة على الأقسام الشمالية من العراق. وقد ساهمت هذه الجهات في الحركات السابقة لقيام ثورة العشرين التي قررت مصير العراق.

وان التأثير المعنوي لنجاح الكمالية كان كبيراً لا في العراق حسب بل في الشرق كله[٢٩].

وان الاتجاهات الانفصالية التي ظهرت في الأجزاء غير التركية من الإمبراطورية العثمانية، لم تخلوا من التأثير على الحركة القومية في العراق وسوريا، حيث ان الثورات التي حدثت في البوسنة وكريت من أجل الانفصال عن الدولة العثمانية والمطالبة بالإصلاحات واللامركزية في مقدونية، وثورة الدروز في حوران والعرب في

شرق الأردن وطلب الالبانين في إجراء الإصلاحات المالية قد شجعت العرب بوجه عام طلب اللامركزية لأنفسهم(٣٠).

كذلك ان الموقف البريطاني في داخل العراق والإدارة العسكرية فيه وعدم رضا الأهالي أدى إلى رواج الدعاية التركية في العراق ومحاولات اتصال من بعض الزعماء العراقيين بتركية الكمالية وذلك لأن شخصية كمال أتاتورك قد أعجبت الكثير من العراقيين والسوريين على فترات طويلة بعد ذلك(٣١).

المبحث الثالث
الاسباب الداخلية المباشرة

الاسباب الداخلية المباشرة:

كانت هناك عوامل ومسببات داخلية عملت على قيام ثورة العشرين الكبرى، تلك الثورة التي أضرم نارها الفلاحون نتيجة لما لقوه من الظلم والاضطهاد وسلب الحريات.

وكان لهذه الثورة التي قامت بها كافة شرائح المجتمع العراقي أساليب مختلفة لقمع السياسة التعسفية للبريطانيين. وان من أهم الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المباشرة التي ساهمت في قيام الثورة هي كالأتي:

أولاً- الاسباب الاقتصادية:

١- ثقل الضرائب المالية واستنزاف ثروات البلاد:

القصد الاستعماري الذي رحت إليه بريطانية في إرسال جيوشها إلى العراق، في مطلع الحرب العالمية الأولى كان واضحاً من الوهلة الأولى، بسبب خيرات البلاد الوفيرة وموقعها السوقي النادر وكون العراق هو كندا الشرق، باعتباره مخزن الغلة في العالم، وكان يدور في خلد زعماء الاستعمار البريطاني إن ما حصلت عليه انكلترا إنما هو تأسيس سيطرتها على منابع النفط في العراق(٣٢).

هذا وان الإدارة البريطانية فرضت ضرائب ثقيلة على الشعب وتشددت بجمعها كما أنها زادت هذه الضرائب إلى ثلاث أضعاف عما كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني(٣٣).

وقد ازدادت الضرائب المباشرة في المنطقة التي احتلها الانكليز للسنة المالية (١٩١٨-١٩١٩) بـــ(١,٦٥) مرة بالنسبة لما كانت عليه في عامي (١٩١١- ١٩١٢) وارتفعت إلى أكثر من مرتين خلال السنوات (١٩١٩-١٩٢٠)، وفي سنة (١٩١٧-١٩١٨) بلغت واردات الإدارة المدنية (١٥٢٥٠) ألف روبية، منها (٧٩٥٠) ألفاً من الضرائب الزراعية، و(٦٧٥٠) ألفاً من الرسوم المختلفة، أما في سنة (١٩١٨-١٩١٩) فقد ارتفعت إلى (٢٩٣٠٠) ألف روبية، منها (٢١٧٥٠) ألفاً من الضرائب الزراعية، و(٦٥٠٠) ألف من الرسوم[٣٤].

ومن أجل استغلال ثروات البلاد واستعباد أهلهـــا، عمـــدت حكومـــة الاحـــتلال البريطاني إلى السيطرة على جميع مرافق الحياة الاقتصادية كالسكك الحديـــد والمـــوانئ والكمارك وإلى إقامة غرفة تجارة بريطانية فيه وقد عهدت جميع هذه المرافق إلى الانكليز والهنود أو من سار في ركاب المحتلين من أبناء البلاد بينما بقي الســـواد الأعظـــم مـــن الشعب مرضى الجسوم جياع البطون عراة الأبدان حفاة الأقدام[٣٥].

ولم يتضايق الشعب من ثقل الضرائب فحسب، بل أن تطبيق بعـــض القـــوانين اللامركزية في تقديرها وجباتها كان من عوامل التذمر والاستياء لا سيما وأن الناس لـــم يألفوا التدقيق في قضايا الضرائب في العهد العثماني.

ويرى رجل الأدب والسياسة البارز الشيخ محمـــد رضـــا الشـــبيبي أن الثـــورة العراقية وليد عاملين خطرين أولهما النفط والاستغلال الاقتصادي والثاني استنزاف جهود الفلاحين في ميدان الزراعة خاصة ومن هذه الناحية أدرك العراقيين أن حياتهم الاقتصادية والمعاشية مهددة بضرب من الضنك والفقر المدقع والعوز ولهذا تأثرت بهذه العوامل طبقة الزراع والفلاحين حتى حفزتها في ان تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة المجيدة[٣٦].

٢- ارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة:

في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق حدث اختلال كبير في الحياة الاقتصادية للشعب العراقي، يضاف إلى ذلك أن الحرب العالمية الأولى قد أثرت على حياة العراق الاقتصادية تأثيراً بالغاً أدى إلى هبوط مستوى الإنتاج الزراعي وتدني مستوى التجارة

الخارجية وكان حصيلة كل ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية وبالتالي أدت بإجماع كل الأمور إلى فقر عموم الشعب وإثراء الإقطاعيين الكبار[٣٧].

فقد أدى هبوط الإنتاج الزراعي، وتوقف استيراد البضائع الصناعية إلى ارتفاع فاحش في الأسعار، حيث ارتفعت أسعار الأقمشة إلى ثلاث مرات، وازدادت أسعار الغزول (٢,٤) مرة والخيوط (٣) مرات والشموع (٤,٥) مرة، والإصباغ (٥) مرات وهكذا، كما ارتفعت أسعار المواد الغذائية ارتفاعاً فاحشاً، حيث ان رأس المال النقدي الحرفي تلك الظروف، دخل ميدان المضاربة، حيث أخذ يتحين الفرص للحصول على أرباح فاحشة[٣٨].

وان الصعوبات التي يتعرض لها جميع التجار في كل أنحاء العالم أثناء الحرب، قد فعلت فعلها في العراق، وتعرض التصدير مثلاً، لصعوبات ناشئة على قلة وسائل النقل ولم تتوفر وسائل النقل لتصدير الجلود والصوف والمواد الخام الأخرى التي تجمعت في بغداد قبل احتلالها والتي تمت بحاجة ماسة لها في الوطن.

والمستر ويلسن وكيل الحاكم الملكي البريطاني في العراق آنذاك يرى أن العوامل الاقتصادية الدولية وارتفاع الاسعار وآثار الحرب العالمية الاولى هي من عوامل الثورة العراقية، التي شارك فيها العراق بقية البلدان الأخرى، وأدى إلى إثارة سخط الناس، بعد ان تدهورت احوالهم المعاشية التي نسميها أحوال بعد الحرب[٣٩].

٣- احتكار قوت الشعب والسيطرة على التجارة:

لم يكتف الانكليز بما فعلوه بقوانين البلاد وعاداتها، فعمدوا إلى سلب الثروة من أبناء البلاد، ولا سيما المسلمين منهم، فاحتكروا الأقوات وابتاعوا بأبخس الأثمان، ثم باعوها باثمان عالية جداً، الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعة عامة. وأقاموا في دوائرهم موظفين من أراذل النصارى واليهود، حتى أراذل المسلمين، فكانوا عوناً على هتك حرمات الأعراض وأزعجوا العقائل في خدورهن، وابتزوا الأموال، وفعلوا المنكرات[٤٠].

وقد جاء في تقرير رئيس البنك الشرقي البريطاني رداً على بعض الأوساط البريطانية التي طالبت بسحب الجيوش من العراق حيث قال: «أن شركتنا تستحوذ على أكثر من عشرة ملايين باون من المستوردات العراقية وشركاتنا الأخرى تلعب الدور

الأكبر في صادرات العراق التي نتوقع أن تأخذ بالازدياد» هذا ما قاله رئيس البنك صراحة، مراعاة إلى استمرار الجيوش البريطانية في مقاومة الثورة العراقية.

٤- تعديات الجنود الانكليز:

لم يعر الانكليز اهتماماً للمشاعر القومية للمواطنين، بل تعمدوا إلى إهانة كرامتهم، فقد عمد الاحتلال بقسوة إلى تحطيم الآثار الثقافية العريقة التي لا تقدر بثمن. ولم يتورع الضباط عن ضرب الشيوخ والأطفال من العرب والأكراد على حد سواء[٤١].

وقد كتب (أ.ج.أيميليا نوف) في ذكرياته عن الحركات العسكرية للقوات الروسية في الجبهة التركية يقول، أن القوقاز الروس الذين دخلوا العراق، دهشوا من تصرفات الانكليز تجاه المواطنين العراقيين، فقد كانت معاملتهم شرسة جداً، بحيث كان الضباط يقتلون السكان المسالمين بمجرد عدم وقوفهم عند قدوم أولئك الضباط[٤٢].

وان من الأسباب المباشرة التي دعت البغداديين إلى الثورة هو استعمال العنف مع أهالي بغداد فقد كان جنود الاحتلال عندما ينزلون إلى الأسواق والشوارع ويرون الازدحام وأردوا فسح الطريق فأنهم يستخدمون اللكمات والكلمات البذيئة مع الناس.

ويبدو ان التعديات بلغت مداها حتى أضطر (وليم مارشال) القائد العام للجيش البريطاني في العراق ان يقدم اعتذاره عن أفعال الجنود الانكليز، وخلاصة ذلك أن الجنود الانكليز كانوا يعاملون أبناء الشعب في العراق معاملة العبيد[٤٣].

ثانياً- الاسباب السياسية:

من الاسباب أو العوامل السياسية التي لعبت دور كبير في اندلاع لهيب الثورة (الميري) المكان الأول بين الأنواع الأخرى من الأرض[٤٤].

وان من الحقائق المعروفة ان السلطات البريطانية ساعدت إلى حد كبير جداً على تدعيم النظام الإقطاعي في العراق، فعمدت في ظل الانتداب ان تكافئ المخلصين لها فوسعت عليهم واعفتهم من الضرائب وأعطتهم الأرض فنشأت طبقة من الإقطاعيين في محافظة ميسان (العمارة)، وواسط (الكوت)، والأنبار (الدليم)، بابل (الحلة) يتصرفون في مساحات من الأراضي لم يعهد العراق في دور من أدواره ان راها لفرد من أفرادها.

وهكذا كانت أراضي الموالين للحكم البريطاني تتسع على حساب الأراضي الاميرية، وأراضي المقاومين لهذا الحكم، فكان لترسيخ نظام المشيخية في العراق، وتوزيع الأراضي على المحسوبين والمؤيدين للسياسة الانكليزية وما أوجده ذلك من المنازعات المستمرة بين مختلف العشائر من أسباب نشوب الثورة(٤٥).

٦- أعمال السخرة:

كان البريطانيون يفرضون العمل الإلزامي على الفلاحين الأمر الذي يؤدي إلى استيائهم. ويعترف الجنرال هولدين بأن أشد ما كان أفراد العشائر يكرهونه هي السخرة المجانية التي كانوا يجبرون عليها، لصيانة سداد الفيضان أو للقيام ببعض الأشغال العامة. ويذكر هولدين بعد ذلك أن بعض الشيوخ الذين أعطتهم السلطة مالاً لقاء ما قامت به عشائرهم في ميدان الأعمال العامة، غلبهم الهوى، فلم يؤدوا الأمانات إلى أهلها. لذلك أخذ أبناء العشائر يتبرمون من جراء حرمانهم أجر أتعابهم(٤٦).

أما في المناطق التي تحتلها القوات البريطانية فقد كتب (كورن يونك) وهو من اهم المستشاريين المدنيين في مجال الزراعة في هذا الصدد يقول: «لقد أرسلت وحدات متنقلة صغيرة، في المنطقة الممتدة من جنوب شط العرب حتى الفاو، لغرض جمع ألف رجل من مختلف القوى للخدمة في الجيش». واستخدمت الإدارة العسكرية البريطانية أربعين ألفاً من المواطنين العراقيين في أعمال السخرة، إضافة إلى خمسين ألفاً آخرين كانوا يعملون لنقل المعدات الحربية كما استخدمت المواشي والسفن النهرية العائدة للسكان المحليين في أعمال النقل الحربي. واستخدمت القوة ضد من يرفض الخدمة في أعمال السخرة(٤٧).

ثالثاً- الاسباب الاجتماعية:

١- سوء الإدارة البريطانية:

لقد أجمع الكتاب والسياسيون الذين عنوا بتدوين تاريخ العراق القريب، وتاريخ ثورة العشرين بصورة خاصة من غربيين وشرقيين على أن سوء الإدارة البريطانية في العراق والتصرفات الخرقاء، التي كانت تصدر من الحكام السياسيين آنذاك سبباً مباشراً

من أسباب نشوب الثورة وعاملاً هاماً في استنفار الشعور الوطني، ومضاعفة النقمة والاستياء من الحكومة المحتلة[٤٨].

حيث أن الأمور الإدارية أصبحت بيد ضباط عسكريين انتقلوا من الحكم العسكري إلى الحكم الملكي وكان هؤلاء ذو شراسة ولوثة انتقلوا من الخنادق إلى الكراسي الإدارية فساروا في الناس سيرة خشنة وساقوهم سوقاً عنيفاً، وصبوا التكاليف الثقيلة دفعة واحدة.

فكانت الترتيبات الإدارية كأوامر عسكرية جبرية لا تقبل التحويل والتبديل[٤٩]. وكانت هذه الزمرة من الضباط والموظفين العسكريين والإداريين تلاقي أشهر الصعوبات والمشاق في إدارة شؤون البلاد ومما يزيد الطين بلة، عقلية وعادات الأهالي فمن جهة كل اللوم يقع على جهل الموظفين وعدم إلمامهم بشؤون الإدارة، ومن الجهة الأخرى على عقلية الاهالي وعاداتهم[٥٠].

وأغرب من هذا كله أن الحكام المذكورين ساروا وفق أنظمة وتعليمات وضعتها سلطات الاحتلال العسكرية والمدنية مع ان اتفاقات لاهاي لسنتي (١٨٩٩م/١٩٠٨م) تفضيان على الدول التي تحتل مملكة ما أن تتخذ كل الوسائل الممكنة لتطبيق القوانين المرعية الإجراء في تلك المملكة وقد انتشر تعيين الضباط العسكريين في المناصب السياسية حتى العراق بأسره. وأصبح مصدر خطر عظيم[٥١].

ان أولئك الضباط الشبان ممن نيطت بهم الواجبات الإدارية لم يكونوا بشاعرين أحياناً أن العربي كغيره من الشرقيين يتطلب وقتاً كبيراً ليصل إلى النقطة المنشودة، وأن الصبر مفتاح الفرج، فكان هؤلاء الوجهاء ومن علت به السن يضيقون ذرعاً مما يلاقونه من عدم احترامهم[٥٢].

وكانت لهؤلاء خبرات متفاوتة تبعاً للمدة التي مارسوا فيها اصطناع الطرائق الهندية، ومنهم من كان على خط كبير من الكفاية والمقدرة إنهم رجال ألفوا النمط المركزي المستقر في الإدارة، النمط الذي يتميز بشدة التمسك بالتعليمات و(الروتين) الحكومي[٥٣].

يضاف إلى ذلك ان الانكليز قاموا باحتكار الوظائف ففي ١١ أب من سنة ١٩٢٠م، بلغ عدد موظفي الدرجة الأولى في الإدارة المدنية (من الذين تجاوزت رواتبهم

ستمائة روبية شهرياً) (٥٣٤) موظفاً، كان من بينهم (٥٠٧) بريطانيون و(٧) هنود و(٢٠) من أهل البلاد فقط لذلك فأن استخدام عدد كبير من الموظفين في الإدارة من البريطانيون وهنود. مما أوغر صدور العراقيين الذين كانوا يعتقدون أنهم أحق من الأجانب(٥٤).

٢- سياسة التجزئة والتفريق:

اتبعت السلطة البريطانية في بعض الأحيان سياسة فرق اقتصد في إثارة الخلاف بين رؤساء القبائل من أجل خلق المشاحنات بين أفراد القبيلة الواحدة وبالتالي أدى إلى انتشار الشقاق والنفاق بين رؤساء القبائل الأمر الذي أدى إلى خلق نوع من السخط والتذمر.

وقد جاء ذلك واضحاً في أحد التقارير الرسمية تلك السياسة التي انتهجتها السلطة المحتلة في التفرقة بين أبناء الشعب الواحد. وقد جاء في هذا التقرير صراحة: «ان طريقة التفرقة التي نسير عليها تعني القضاء على النظام القبلي وهذه الوسيلة هي الوحيدة التي تساعدنا على السيطرة في الوقت الحاضر»(٥٥).

وتعتبر سياسة زرع الشقاق بين القوميات والقبائل والأديان، من أهم مظاهر السياسة البريطانية، حيث عللت (بيل) أسباب دمج منطقة اليزيدين بجبل سنجار في العراق، بأن سكان هذه المنطقة كانوا يكنون العداء المستحكم للعرب. وأستغل المحتلون الخلافات بين رؤساء القبائل وأفرادها لتثبيت سيادتهم عليها(٥٦).

٣- تقريب بعض الشيوخ والمتنفذين على حساب البعض الأخر:

لقد عملت الحكومة البريطانية على تقريب زمرة من الأغنياء والمتنفذين عرفوا بالتزلف إلى القوات المحتلة. وقد أقنع هؤلاء السلطة المحتلة بأن الجمهور في قبضتهم ورهن أشارتهم وأن يسيرونه كيف يشاؤون(٥٧).

وهم يفتخرون بتطبيق رغائب الحومة مهما كان نوعها، فلقيت هذه الوساوس صدوراً رحبة في دوائر المحتلين، لأنها تقتضي تخفيف عبء النفقات عن كاهل دافع الضريبة البريطاني، فلا حاجة إلى حامية كبيرة في بلاد يضعها أشراف أبنائها في قبضة

الحكومة المحتلة عن طيبة خاطر، وقد غاب عن بال السلطة أن الرأي العام غير مرتاح لتقرب أولئك المتزلفين منها، وأن له مقاصد ومآرب غير مقاصدهم ومآربهم، وأنه يقول واضح- بات ينشد الاستقلال، ويحلم بالحرية[٥٨].

وليت المتزلفين وقفوا عند حد في حيلهم ووسائلهم فأن بعضهم لم يقتصروا على اكتساب عطف السلطة عليهم، وقبولها مراسيم العبودية منهم بل أنهم عمدوا إلى الوشاية والسعاية بالناس، فأشاروا بنفي هذا وحبس ذاك[٥٩].

وقالت المس (بيل) في مذكرتها التي رفعتها إلى حكومتها البريطانية في شباط ١٩١٩، وهي تتعرض هذه الحوادث:

«وقبل ان نختم هذا السجل العجيب نقول: ان الأشراف الذين وقعوا على العريضة المضادة للعريضة الثانية- التي طالت فيها الأهلون إنشاء حكومة عربية مستقلة- قالوا لوكيل الحاكم الملكي العام: أن الكتلة المعارضة للانكليز لا تزال تبث دعاية قوية ضدهم في المقاهي، وطلبوا إلى بعض الزعماء أنهم خطراً لا على الحكومة البريطانية حسب، بل على كيان العراق وسلامته، وقد تبقى مثلاً على هؤلاء الزعماء»[٦٠].

٤- تأييد رجال القبائل للثورة:

أدى حاجة الجيش المحتل إلى المنتوج الزراعي المحلي، مهما بلغت أثمانه، إلى تجمع ثروات طائلة بأيدي بعض العراقيين، الذين يحفزهم الطموح إلى الحرية إلى البذل في سبيلها، فاستعان بعض القبائل بهذه الثروة الطائلة وبأسعار الحبوب الفاحشة على شراء العتاد، والسلاح، والبذل بسخاء في سبيل تحرير البلاد من الهيمنة الأجنبية.

يضاف إلى ذلك أن القبائل في العراق كانت تتمتع بنفوذ واسع واستقلال غير منكور مدة حكم الأتراك العثمانيين، وكانت كل قبيلة تخضع إلى رئيس تحكمه في أمورها وقت السلم وتسير تحت قيادته وقت الحرب، فلما احتلت الجيوش البريطانية العراق، خضعت من هذا النفوذ، وقضت على هذا الاستقلال، وقربت البعض من السراكيل والفلاحين، للقضاء على السلطان الذي كان يتمتع به الرؤساء مدة حكم العثمانيين.

هذا إلى الاهانات التي كان الضباط البريطانيون يعتمدون توجيهاً إلى هؤلاء الرؤساء، أمعاناً في خصر شوكة نفوذهم، وكَلْمْ صدورهم، والحط من مقامهم[٦١].

ويذكر عبد الرزاق الحسني في كتابه، تاريخ الثورة العراقية، أن الزعماء الذين يقصدون البلدة لمقابلة جناب الحاكم السياسي فيها يضطرون إلى الترجل والمشي على الأقدام مدة ربع ساعة تقريباً وكثيراً ما كان يترفع الميجر عن مقابلتهم في ساعة وصولهم فيضطرون إلى الانتظار عدة ساعات وقد يباتون الليلة وأحياناً الليلتين لمواجهة الحاكم بدون جدوى فأي تأثير يجب أن تؤثر هذه السياسة الهوجاء في نفوس هؤلاء الأباة[٦٢].

ان القبائل العراقية وخاصة قبائل الفرات الأوسط بقيت فترة من الزمن وهي معتزة ببأسها وعروبتها فلم تصل إليها يد السلطة ولم تؤثر فيها الدعايات المضرة، وقد نستنتج عن هذا الوضع أن بسط رؤوساء القبائل سلطانهم الواسع على أصقاع شاسعة وحصلوا على ثروات وأطيان كبيرة ودانت لنفوذهم الأفراد والجماعات فأصبحوا يتمتعون بنفوذ وجاه لا يدانيهما نفوذ وجاه، وكانت تتجنب إثارة أفكارهم وتبعد عن كل ما يسبب تحريكهم[٦٣].

وبذلك يمكن أن توصف عشائر العراق على وجه العموم بالحرص والشموس والعنف، لكنها لا تبدى ما تأصل في نفسها أو تجتري إن اتصلت أو احتكت بدولة لها من القوة والأبد ما يفوق قوتها وأيدها.

وان نوعاً من الإحساس بقضية العراق العامة، ذلك الإحساس الذي تعدى حدود الاهتمام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية إلى الاهتمام بمصلحة الوطن عامة، أخذ خلال فترة ثورة العشرين يجد طريقه إلى نفوس الكثير من أفراد القبائلوخاصة طبقة الزعماء منهم مما دفعهم إلى المشاركة في الثورة[٦٤].

٥- تأثير الجمعيات والأحزاب السرية ودورها في الحركة الوطنية:

إن الجمعيات والأحزاب السياسية السرية التي عملت في العراق أبان الاحتلال البريطاني كان لها الأثر البالغ في إذكاء الروح الوطنية، وتطوير مشاعر الناس نحو الاستقلال والحرية.

فبينما كانت الكتلة الوطنية السورية تنتظر المساعدة من انكلترا أو مصر ومكة وحتى من فرنسا، كانت الكتلة العراقية، ترى عدم الالتجاء إلى أية مساعدة أجنبية حذراً من أن تكون في طلبها المساعدة قد استبدلت سيداً بآخر.

وتألفت مجموعة من الجمعيات منها جمعية حرس الاستقلال التي تألفت عام (١٩١٩م) وحين تشكلت فروع لها في الموصل وديالى، قرر القائمون عليها فتح فروع أخرى في كربلاء والنجف والمنتفك[٦٥].

وتألفت جمعية سرية أخرى باسم (جمعية الشبيبه) ولكن أعضاء هذه الجمعية لم يكونوا مدربين على القيام بالأعمال السياسية وكانت بينهم وبين أكبر مؤسسي الحرس علاقات ودية حسنة جداً حملت رجال الحزبين على تبادل الثقة وأفضت في الأخير إلى اندماج حزب الشبيبه بعضوية الحرس.

وتألفت جمعية العهد الأم التي أنشأها قبل ذلك في الأستانة رجل السياسية والحرب عزيز علي المصري بتاريخ ٢٨ تشرين الأول (١٩١٣م)[٦٦].

وتأسست جمعية (العلم) في الموصل سنة (١٩١٤م)، وقد بادرت مع جمعية العهد إلى العمل الناشط مستثمرة استياء الرأي العام العراقي ضد السلطة المحتلة فقامت في ذات الوقت هذه الأحزاب السياسية يعقد الاجتماعات العامة في جوامع بغداد الكبيرة، كجامع براثا والقبلانية والحيدرخانة والسيد سلطان علي مما كان له أبلغ الأثر في تهيئة الرأي العام العراقي لإعلان الثورة الكبرى عام (١٩٢٠م)[٦٧].

وقد وردت أيضاً أشارات إلى نشوء جمعية سرية أسمها (جمعية النهضة الإسلامية) اتخذت النجف الأشراف مركزاً لها ويظهر أن لهذه الجمعية صلة في قضية اغتيال حاكم النجف القائد مارشال.

وقد اتخذت مع الناقمين على السلطة من أجل القيام بثورة يمتد لهيبها إلى جهات مختلفة، ووردت جمعية أخرى باسم (الجمعية الوطنية الإسلامية)، وقد تألفت عقب الهدنة في كربلاء تحت إشراف رجل الدين الشيخ محمد تقي شيرازي وتحت رئاسة أبنه محمد رضا، وكان هدفها العمل ضد حكومة الاحتلال البريطاني[٦٨].

ونتيجة لتأثير هذه الجمعيات حصل تقدم واضح في حركة الوعي الوطني في العراق خلال الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وقيام ثورة العشرين سنة (١٩٢٠م).

ولكن العامل الوطني في ثورة العشرين لم يكن من الخطورة بمكان– وأنه كان ثانوياً بالقياس إلى العامل الديني[٦٩].

الاستنتاج والخاتمة

بعد ان انهينا بحثنا خرجنا بالاستنتاجات التالية:

١. ان ثورة العشرين كانت ثورة كل العراقيين بأمتياز وان من يقول ان (الثورة كانت فراتية) فهي ضربة بالصميم لاهداف وتطلعات القائمين بها.
٢. بعد خمسة أشهر من الحرب الدموية، استطاع المستعمرون الانكليز إخماد ثورة الفلاحين والعمال الحرفيين العراقيين المناضلين في سبيل حقهم في تقرير المصير، وكان عدم التكافؤ بين الاطراف المتحاربة في النواحي الاقتصادية والتكنيكية والعسكرية، من أهم اسباب فشل ثورة العشرين.
٣. لقد استطاع العراقيون بفصائلهم الثائرة المجهزة بأبسط الاسلحة، بقيادة لا تملك خبرة في قواعد الحرب الحديثة، أن يقارعوا جيشاً نظامياً مدججاً بالسلاح حتى أخمس قدميه لأقوى دولة استعمارية في ذلك الحين، كانت ثرواتها من الضخامة بحيث لا يمكن مقارنتها بالامكانات المتوفرة لدى الثوار في جميع المجالات.
٤. لثورة العشرين أهمية خاصة تبدو في أن المئة وثلاثين ألف ثائر من الفلاحين والأعراب وسكان المدن، شهروا السلاح في وجه أقوى دولة أمبريالية في ذلك الحين، وقاتلوا قواتها المتفوقة عدة وعدداً لأكثر من خمسة أشهر بشجاعة لم يسبق لها مثيل.
٥. من نتائج الثورة تخلص العراق من الاحتلال البريطاني البغيض، وقامت فيه حكومة مستقلة ذات سيادة في الظاهر، ولكنها لم تكن كذلك في الواقع.
٦. إن ثورة العشرين على الرغم من فشلها عسكرياً نظراً للتفوق البريطاني بما يملكه من أسلحة وجيش منظم وتجارب قتالية، إضافة الى عوامل الضعف في الحركات الوطنية العراقية، قد نجحت سياسياً لايقاظها وعي الشعب بمختلف طبقاته وعلى مختلف

الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما دفع الانكليز الى إعطاء العراق حكماً شبه وطني بعد تأمين مصالحهم الرئيسة فيه.

٧. ان ثورة العشرين الي الان هي مصدر الهام للحركات الوطنية سابقا وحاليا، واكدت ان العراقي لايمكنهة ان يصبر على ضيم ولايقبل استلاب حريته واستقلاله، وهي درس لكل مستعمر.

٨. ان من نتائج ثورة العشرين تشكيل عقد اجتماعي وسياسي للعراق بموجبه ظل العراق واحدا موحدا دائما يستجيب للتحدي.

وفي الختام:

ان ثورة العشرين هي ثورة قامت نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتظافر عدة مسببات منها المسببات الخارجية والمسببات الداخلية التي لولاها لما كانت هناك أي ثورة تذكر في تاريخ العراق السياسي.

فنتيجة لهذه المسببات تهيئة الظروف المناسبة لقيام ثورة عارمة شملت معظم مناطق العراق، ثورة أشعل نارها الفلاحين.

وهذا البحث ما هو إلا بحث بسيط لم أتتطرق فيه إلى كل العوامل وإنما أخذت ما له علاقة وثيقة في قيام الثورة التي كان فيها علماء الدين الأفاضل في مقدمة القيادة لأنهم كانوا يمثلون حلقة الوصل مع أفراد الشعب بكافة طبقاته وبخاصة القبائل ودورها الكبير في الثورة.

ان هذه الثورة عملت على تغيير سياسة البريطانيين في العراق وأكدت فشلهم في فرض سيطرتهم وعملت في بداية الأمر على أنشاء حكومة عراقية كان على رأسها الملك فيصل بن الشريف حسين بن علي ملك الحجاز ودفعت بالعراق إلى الدخول في عصبة الأمم.

هوامش البحث

(١) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، بغداد، ط٢، ١٩٧٩م: ص١٧٧.

(٢) ل.ن.كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، ترجمة د.عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٨٥: ص١٠٥.

[٣] عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م: ص٥٧-٥٨.

[٤] المصدر نفسه: ص٧٩.

[٥] كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية، عام ١٩٢٠، النجف، ١٩٧٢: ٢٦/١.

[٦] المصدر السابق نفسه: ص٢٨.

[٧] الفريق، السر، المر هولدين، القائد العام للقوات البريطانية في العراق أبان الثورة، ثورة العراق ١٩٢٠م، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، ١٩٦٥م: ص٣٠.

[٨] كاظم المظفر، المصدر السابق: ص٣٦.

[٩] فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق، بغداد، ١٩٧٧م، دراسة وثائقية: ص٤٣.

[١٠] فيليب ويلارد أيولاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة، جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩م: ص١٨٥.

[١١] عبد الله الفياض، المصدر السابق: ص١٨٧.

[١٢] عبد الله الفياض، المصدر السابق: ص١٨٧.

[١٣] فاروق صالح العمر،المصدر السابق: ص٨٤.

[١٤] عبد الله الفياض، المصدر السابق: ص٢٤٥- ٢٤٦.

[١٥] كاظم المظفر، المصدر السابق: ص١٤٣-١٤٤.

[١٦] فاروق صالح العمر، مصدر سابق: ص٦٣.

[١٧] عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص٢٤٧.

[١٨] كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٠٢.

[١٩] عبد الأمير كاظم، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٧٨- ١٩٧٩: ص٢٦.

(٢٠) هنري موستر، نشأة العراق الحديث، ج١، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد: ص١٨٥.

(٢١) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٠٤.

(٢٢) عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢٣) مجيد خدوري، تحرر العراق من الانتداب، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٥: ص١١.

(٢٤) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٢٦.

(٢٥) عبد الأمير كاظم، مصدر سابق: ص٢٧.

(٢٦) عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص٢٥٠.

(٢٧) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٢٨-١٢٩.

(٢٨) فاروق صالح العمر، مصدر سابق: ص٧٧- ٧٨.

(٢٩) عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣٠) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٧٥.

(٣١) فاروق صالح العمر، مصدر سابق: ص٦٥-٦٦.

(٣٢) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٣.

(٣٣) عبد الأمير العكام، مصدر سابق: ص٢٢.

(٣٤) كوتلوف، مصدر سابق: ص١٠٨.

(٣٥) المصدر نفسه: ص١٠٨.

(٣٦) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٧-٢١.

(٣٧) المصدر نفسه: ص٢١-٢٢.

(٣٨) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩.

(٣٩) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص ٢٣-٢٤.

(٤٠) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط٣، صيدا، ١٩٧٢م: ص٨٤- ٨٥.

(٤١) كاظم النعمة، الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال، الدار العربية، بيروت، ١٩٨٨: ص١٢.

(٤٢) المصدر نفسه: ص١٢٩.

(٤٣) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٦٤-٦٧.

(٤٤) كاظم النعمة، مصدر سابق: ص٣١.

(٤٥) كاظم المظفر مصدر سابق: ص٣٤.

(٤٦) مجيد خدوري، مصدر سابق: ص٣٦-٣٧.

(٤٧) كاتلوف، مصدر سابق: ص١٠٦.

(٤٨) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٤٣-٤٤.

(٤٩) عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص٢٥٦.

(٥٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الثورة العراقية، صيدا، ١٩٣٥: ص٢٣.

(٥١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، صيدا، ١٩٥٧م: ١/١١٦.

(٥٢) المر هولدين، مصدر سابق: ص٣٩.

(٥٣) المر هولدين، مصدر سابق: ص٢٧.

(٥٤) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٣٨-٤٠.

(٥٥) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٥٤-٥٦.

(٥٦) كاتلوف، مصدر سابق: ص١٢٨.

(٥٧) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٥٩.

(٥٨) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى: ص٨٩.

(٥٩) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص٦٠.

(٦٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الثورة العراقية، مصدر سابق: ص٨٩.

(٦١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مصدر سابق: ص٨٧-٨٨.

(٦٢) المصدر نفسه: ص٢٤.

(٦٣) ألمر هولدين، مصدر سابق: ص٣٧-٣٨.

(٦٤) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى: ص٢٥٩-٣٦٦.

(٦٥) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٣٥.

(٦٦) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٣٦.

(٦٧) كاظم المظفر، مصدر سابق: ص١٣٨.

(٦٨) عبد الله الفياض، مصدر سابق: ص١٩٢-١٩٣.

(٦٩) محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق، حقبة من الصـــراع، ١٩١٤-١٩٥٨، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠: ص٧٧-٧٨.

فهرست المصادر والمراجع

١. د.عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، لسنة ١٩٢٠م، ط٢، بغداد، ١٩٧٩م.

٢. السيد عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ط٣، صيدا، ١٩٧٢م.

٣. السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الثورة العراقية، ط١، صيدا، ١٩٣٥م.

٤. السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، صيدا، ١٩٣٥م.

٥. كاظم المظفر، ثورة العشرين التحررية، عام ١٩٢٠ م، ج١، النجف، ١٩٧٧م.

٦. د.فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق، بغداد، ١٩٧٧م، دراسة وثائقية.

٧. د.عبد الأمير العكام، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر، جامعة بغداد، كلية التربية، لسنة (١٩٧٨-١٩٨٥).

٨. ل.ت. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة: د.عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٨٥م.

٩. الفريق، السر ألمرهولدين، ثورة العراق، ١٩٢٠م، ترجمة: فؤاد جميل، ط١، بغداد، ١٩٨٥م.

١٠. فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩م.
١١. عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال مطبعة العاني- بغداد، ١٩٦٧.
١٢. حسين جميل، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨- ١٩٣٠، دار الام- لندن، ١٩٧٧.
١٣. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ج١، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
١٤. مجيد خدوري، تحرر العراق من الانتداب، مطبعة العهد بغداد، ١٩٣٥.
١٥. المس بيل، فصول من تاريخ العــراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، ١٩٤٩.
١٦. كاظم النعمة، الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال، الدار العربية، بيروت، ١٩٨٨.
١٧. محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق، حقيقة الصراع ١٩١٤- ١٩٥٨، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.